طالوت ملك من بني إسرائيل

دراسة موضوعية

دكتور/ ظافر سعد سعيد الشهري
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فمنذ أن خلق الله آدم عليه السلام وبعد أن تكاثر نسله، وتوالت الأجيال من ذريته، اقتضت إرادة الله تعالى أن ينقسم الناس إلى حُكَّامٍ ومحكومين، وذلك وفقًا للقدرات التي أودعها الله في كيان الجنس البشري فمنهم من يستطيع أن يدبر أمر نفسه ويسوس غيره، ومنهم من لا يحسن التدبير إلا لنفسه، ومنهم من لا يحسن لا هذا ولا ذاك، فالله قسم القدرات العقلية والبدنية كما قسم الأرزاق والأقوات.

ومن هنا كان لابد للناس من يتولى تدبير أمرهم وتسيير شؤون حياتهم فيعدل بينهم في القضية، ويقسم بينهم بالسوية، ويجزي المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، فيدفع عن المظلوم مظلمته، ويعيد للمهضوم حقَّه، فتستقيم الحياة، وينتظم أمرها.

وقد قصَّ الله تعالى في القرآن الكريم لعباده المؤمنين عددًا من القصص التي تقدم لهم النموذج الأمثل للملك العادل، والحاكم المقسط، كما تقدم لهم النموذج الأمثل من الرعية الصالحة التي بها ينتظم أمر الحياة، ويستقر الخير والحق فيما بينهم.

ومن هذه القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم قصة طالوت ذلك الرجل الذي آتاه الله الملك، بعد أن منَّ عليه بمؤهلاته من البسط في العلم والجسم، كما قصَّ علينا خبر تلك الفئة من بني إسرائيل والتي تولى أمرهم، وتقدَّم صفوفهم للجهاد في سبيل الله

ضد القوم الذين بغوا عليهم وسلبوهم أرضهم وملكهم، فأوقعهم في الاختبار والامتحان، فمنهم مَنْ كان التوفيق حليفه، ومنهم من سقط في هوَّة الضعف وعدم القدرة على التحمل، وعلى أكتاف الفئة الصابرة المحتسبة حملت أمانة التكليف بالجهاد في سبيل الله فكان النصر حليفها، والملك من حظها ونصيبها.

أسباب اختيار الموضوع:

مما دعاني لكتابة هذا البحث عدة أمور أضمنها في الأسباب التالية:

١- الرغبة الحثيثة في إبراز صورة واضحة ومتكاملة لِعَلَمٍ من الأعلام القرآنية.

٢- كون قصة طالوت تمثل أنموذجًا إيجابيًا من نماذج الحكم الرشيد ومتطلباته التي يبحث عنها البشر؛ لتستقيم حياتهم.

٣- بيان الصورة التي يجب أن تكون عليه الرعية تجاه حكامها من حسن السمع والطاعة لهم من خلال واحدة من روائع القصص القرآني.

أهمية الموضوع:

تبدو أهمية تناول هذا الموضوع واضحة من خلال:

١- ما تؤكده الحقائق التاريخية أن الأمم التي ذاقت مرارة الهزيمة، وعاشت فترات الضعف والهوان، والذلة والخضوع، يرجع المصلحون فيها إلى صفحات التاريخ؛ ليقلبوا صفحاته، ويسترشدوا بوقائعه ثم ينظروا إلى أسباب الهزيمة وأسباب النصر فيعملوا بمقتضاها، وليس هناك كتاب أوثق ولا أدق من كتاب الله تعالى، وما جرى فيه من ذكر لأخبار الأمم السابقة صدق كله، وحقٌ في مبناه ومعناه، ولما كانت الأمة المسلمة الآن تعيش فترة قاسية، وجب على الباحثين أن ينظروا في وقائع الأمم السابقة التي تشابهت في أحداثها ووقائعها مع ما يقع الآن على كاهل الأمة المسلمة، وبنو إسرائيل هي واحدة من الأمم العريضة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أكثر مما ذكر من غيرها من الأمم، بدءًا من بعثة نبي الله موسى عليه السلام ومرورًا ببعثة من جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل وانتهاء ببعثة نبي الله عيسى عليه السلام.

وتأتي قصة طالوت الملك لتجسد لنا حلقة من حلقات سلسلة تاريخ بني إسرائيل في القرآن الكريم، وتبدوا أهميتها في إبراز العلاقة القائمة بين طالوت القائد الحاكم، وبين الرعية المقهورة المغلوبة من أمة أخرى يقف على سدة الحكم فيها قائد يدعى جالوت، وطلبُ تلك الرعية من طالوت أن يقودهم نحو النصر والتمكين في الأرض بعد فترة

من الهزيمة والهوان، وكيف استطاع أن يقوم بتمحيصهم واختبارهم، وماذا كانت نتيجة هذا الامتحان، وما الدروس التي ينبغي للأمة الآن أن تستلهمها من قصة طالوت مع قومه؟

ومن خلال هذه التساؤلات العديدة يتبين لذوي البصيرة مدى أهمية هذا الموضوع، وحاجة الأمة الآن إلى وعيه ودراسته.

٢- أن قصة طالوت تبرز لنا سنة من سنن الله وهي سنة التدافع بين الخير والشر وبين الهدى والضلال وبين الحق والباطل، وكيف أن التدافع لون من ألوان الأخذ بالأسباب التي أمر بها المؤمنون في مسيرة دفعهم للشر ودمغ الحق للباطل بأيديهم لا بيد غيرهم.

فالمؤمن لا يقف من الباطل موقف المشاهد السلبي بل يجب أن يقف منه موقف المستنكر المرتكز على استجلاب أسباب النصر.

٣- تعد الفترة التي بعث الله فيها طالوت ملكا لبني إسرائيل بداية الانطلاقة الحقيقية والنهضة الجماعية لأمة بني إسرائيل، وقد لفت هذا نظر مفكري الغرب حتى أعلن المستشرق جوستاف لوبون ذلك بقوله: " بشاول بدأ بنو إسرائيل يؤلفون أمة، فاستحقّوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ الحقيقي، الذي كان لهم في العالم"[١]

تساؤلات البحث:

يأتي هذا البحث ليفترض عدة تساؤلات ويجيب عنها:

١- من طالوت؟

٢- ما مؤهلاته القيادية؟

٣- ما الخطة التي اتبعها مع قومه لقيادتهم نحو النصر؟

٤- ما سبل الإفادة من الدراسة في الواقع المعاصر؟

منهج البحث:

تفرض طبيعة البحث أن يرتكز البحث على منهجين: المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء النصوص الشرعية، ثم المنهج التحليلي المعتمد على تحليل النصوص للوصول إلى الأحكام التي يمكن استنباطها من تلك النصوص والتأسيس عليها.

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، ط١، القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٩م، ص٥٤.

خطة البحث:

وسوف ينتظم عقد هذا البحث من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة

أما المقدمة فقد أسفرتُ فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته

وأما التمهيد ففيه ترجمة مختصرة عن طالوت.

المبحث الأول: اختيار طالوت لِلْمُلْكِ مِنْ قِبَل العناية الإلهية.

المبحث الثاني**:**المقاييس المادية لبني إسرائيل في تولية المُلك.

المبحث الثالث: مؤهلات تولي طالوت سُدَّة الملك.

المبحث الرابع:آية ملك طالوت ودلالاتها.

المبحث الخامس: اختبار الله تعالى لرعية طالوت بالنهر ودلالاته.

المبحث السادس:أسباب انتصار الفئة المؤمنة رغم قلة عددها.

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

ترجمة مختصرة لطالوت

تعددت الأقوال حول الترجمة لشخصية طالوت والوقوف على نسبه ونشأته، ومن أهم هذه الأقوال:

١- أورد الإمام ابن كثير في البداية والنهاية نسب طالوت فقال: هو شمويل ويقال له: أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا. قال مقاتل: وهو من ورثة هارون.

وقال مجاهد: هو أشمويل بن هلفاقا، ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا، فالله أعلم[١].

٢- قال الفيروز آبادي: " طالوتُ: اسمٌ أعجميٌّ لُقِّبَ به، وكان اسمه في الأصلِ (سارا) وقيل: (ساوَا)، فقيل: طالوت، لطول قامته.. ومعنى طالوت في اللغة العبرية: طويل. وكان ملكَ بني إسرائيل وكان صفيَّ (أشْمَويل) [هو صموئيل المذكور في العهد القديم] وخصَّه الله تعالى بزيادة بسطةٍ في العلمِ والجسم" [٢].

ذكر السمين الحلبي قولين في اسم طالوت من الناحية اللغوية:

أنه اسم أعجمي؛ فلذلك لم ينصرف للعلتين: العلمية والعجمة الشخصية.

أنه مشتق من الطول، ووزنه (فَعَلُوت) كرَهَبوت ورَحَموت، وأصله (طَوَلوتُ)، فقلبت الواو ألفًا، لتحركها وانفتاح ما قبلها.

وكان الحامل لهذا القول، ما روي في القصة أنه كان أطول رجل في زمانه، إلا أنَّ هذا القول مردود، بأنه لو كان مشتقًا من الطول لكان ينبغي أن ينصرف؛ لأنه ليس فيه إلا العلمية " [٣].

والراجح أنه اسم علمٍ أعجمي، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وبما أنه ليس عربيًا مشتقًا فلا نبحث له عن معنى في اللغة العربية[٤].

وكان طالوت من سِبْطٍ لم يكن الملك فيهم، من أولاد بنيامين بن يعقوب، وقد زعم الكتابيون أن طالوت هو المعروف عندهم بشاول[٥].

---

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة الإيمان، المنصورة، (٢/ ٣٧٦).

(٢) بصائر ذوي التمييز، (٨٢/٦).

(٣) الدر المصون، (٥١٩/٢-٥٢٠).

(٤) الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٠٢.

(٥) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، (١٧٩/٢).

المبحث الأول: اختيار طالوت لِلْمُلْكِ مِنْ قِبَل العناية الإلهية.

لم يرد ذكر لطالوت في القرآن الكريم إلا مرتين في سورة البقرة، وقد جاء ذكره في سياق عرض الله تعالى لنبأ جمع من بني إسرائيل أظهر الله فيهم معجزة الإحياء بعد الإماتة، فقال سبحانه:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)**﴾[(١)]

ثم بعد هذه الآية بآيتين ورد ذكر طالوت في معرض الحديث عن ملأ من بني إسرائيل في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[(٢)] .

والقصة تبدأ من لحظة امتناع بني إسرائيل عن الانصياع لأمر نبي الله موسى حيث أمرهم بدخول الأرض المقدسة (فلسطين) ثم عقاب الله تعالى لهم بالتيه لمدة أربعين سنة[(٣)]، حتى مات هذا الجيل وخلفهم جيل آخر تطهر من درن الهزيمة النفسية التي سيطرت على آبائهم، فقادهم نبي الله (يوشع بن نون) لدخول الأرض المقدسة، وكتب الله لهم النصر على القوم الجبارين، وهنا بدأت أمورهم في الاستقرار والطمأنينة لفترة قصيرة من الزمن، نظرًا لتطبيقهم شرع الله تعالى، وطاعة أنبيائهم، ثم تغيرت طبائعهم بعد ذلك فطغوا وبغوا، وتنكروا لفضل الله عليهم، فسلط الله عليهم عدوهم الذي كان على أرض متاخمة للأرض المقدسة، ودارت بين الفريقين آلة الحرب، وتكررت

---

(١) البقرة: ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٢) البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٣) ورد ذكر ذلك في سورة المائدة في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾ المائدة: ٢٠ – ٢٦.

المعارك التي انتهت بهزيمة بني إسرائيل وانكسارهم، بل زاد عدوهم في نكايتهم باستيلائه على مقدساتهم المتمثلة في التابوت الذي يحمل بين جنباته بقايا ما تركه آل موسى وآل هارون ، وهنا ساءت أحوالهم، وشاع الذلُّ والصَّغار بينهم، ثم شاء الله تعالى أن يتداركهم برحمته فأرسل إليهم نبيًّا يدعوهم إلى الاستقامة على شريعة موسى عليه السلام ، ومع هذا النبي الكريم أظهروا له رغبتهم الحثيثة في الجهاد في سبيل الله لإعادة الأمور إلى نصابها بالانتصار على عدوهم، وإعادة ما سلب من مقدساتهم إلى حوزتهم مرة ثانية، وطلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملِكًا يقودهم في المعارك، ويجتمعون تحت رايته.

وهنا كانت المفاجأة من النبي لقومه أن أخبرهم باختيار الله تعالى لرجل من بينهم يُدعى (طالوت) وكان طالوت من عامَّة الرعية، وليس من بيت سؤدد وحكم.

ونص القرآن يوحي بأن الله أوحى إلى النبي المبعوث فيهم آنذاك، وبَلَّغَ النبي ما أوحي إليه، قال أبو حيان" قول النبي لهم (إن الله قد بعث) لا يكون إلا بوحي، لأنهم سألوه أن يبعث لهم ملكاً يقاتل في سبيل الله، فأخبر ذلك النبي أن القوم سألوه أن يبعث لهم ملكاً يقاتل في سبيل الله، فأخبر ذلك النبي أن الله قد بعثه، فيحتمل أن يكون ذلك بسؤال من النبي لله أن يبعثه، ويحتمل أن يكون ذلك بغير سؤاله، بل لما علم حاجتهم إليه بعثه"[1]

ولعلم الله الأزلي بما سيكون من أمر بني إسرائيل من الاعتراض على تولي طالوت للملك فقد جاءت الآية مؤكَّدة بعدة مؤكدات فهي مؤكدة أولًا: بإنَّ، ثم أكدت ثانيًا: بـ (قد) المفيدة للتحقيق بدخولها على الفعل الماضي (بعث) .

وحول هذا الاعتراض والحجج المثارة من بني إسرائيل نحو نبيهم والإخبار عن اختيار طالوت ملكا عليهم يدور المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: المقاييس المادية لبني إسرائيل في تولية المُلك.

بعد أن أخبر النبيُّ الكريمُ قومَه باختيار الله تعالى لطالوت أن يكون ملكًا عليهم وقائدًا لهم في معاركهم ضد عدوهم، ثارت ثائرة القوم على هذا الاختيار، وشرعوا في بيان حجتهم، وإبراز المعايير التي بها يتم اختيار الملك، وقد ضمنوها في أمرين:

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (٤٣٢/٢).

الأمر الأول: أن الله تعالى اختاره رغم كونه من غير ذوي الحسب والنسب في قومه ، وبناء عليه ثبتت أحقيتهم بالملك منه، قال تعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾**.

الأمر الثاني: كونه من غير ذوي الثراء الفاحش والغنى العريض ، **﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾**

وسوف أقف أمام هاتين الحجتين اللتين احتج بهما بنو إسرائيل بشيء من التفصيل يبين حقيقة المسألة.

أما بالنسبة لمقياس النسب، فقد اتفق المفسرون على أن طالوت كان من سبط (بنيامين بن يعقوب)، وكان سبب اعتراضهم على توليه الملك نظرًا لكونه من هذا السبط أنه«كان في بني إسرائيل سبطان أحدهما للنبوة والآخر للمُلْكِ، فلا يبعث نبي إلا من الواحد ولا ملك إلا من الآخر، فلما بعث طالوت من غير ذلك قالوا مقالتهم» .[(١)].

وقد حكى (الطبري) هذا القول ونسبه بسنده إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، والضحاك بن مزاحم، وقتادة، والربيع[(٢)].

وكانت العصبية للجنس أولًا وللقبيلة أو السبط ثانيًا لازمة من لوازم بني إسرائيل، وهي في الوقت ذاته سبب تناحرهم فيما بينهم، وقد عبر العلامة ابن خلدون عن ذلك بقوله: " وأكثر ما رسخ الوسواس في ذلك [التعصّب للنسب] لبني إسرائيل، فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنبت، أولاً: لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملّتهم وشريعتهم، ثم: بالعصبية ثانياً وما آتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به، ثم انسلخوا من ذلك أجمع، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكتب عليهم الجلاء في الأرض، وانفردوا بالاستعباد للكفر آلافاً من السنين، ومازال هذا الوسواس مصاحباً لهم، فتجدهم يقولون: هذا هاروني، هذا من نسل يوشع، هذا من عقب كالب، هذا من سبط يهوذا، مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة"[(٣)].

أما بالنسبة للمقياس الثاني: وهو المال، فإن القرآن الكريم قد دلَّنَا على مدى ارتفاع مستوى حب اليهود للمال، وضَنِّهم به، وحرصهم عليه، فقال تعالى:**﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ**

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣٣٢/١)

(٢) جامع البيان، الطبري (٥/ ٣٠٩-٣١٠)

(٣) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون (١٣٤/١).

الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا[1]﴾ ، قال ابن كثير: " وَصَفَهُمْ بِالْبُخْلِ فَقَالَ: **(فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا)** أَيْ: لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ لَمَا أَعْطَوْا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ -وَلَا سِيَّمَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-شَيْئًا، وَلَا مَا يَمْلَأُ "النَّقِيرَ"، وَهُوَ النُّقْطَةُ الَّتِي فِي النَّوَاةِ، فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْأَكْثَرِينَ" [2].

وقال صاحب التحرير والتنوير: " الِاسْتِفْهَامُ دَاخِل عَلَى مَجْمُوعِ الْجُمْلَةِ وَجَزَائِهَا مَعًا لِأَنَّهُمْ يَنْتَفِي إِعْطَاؤُهُمُ النَّاسَ نَقِيرًا عَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِ الْمُلْكِ لَهُمْ لَا عَلَى انْتِفَائِهِ. وَهَذَا الْكَلَامُ تَهَكُّمٌ عَلَيْهِمْ فِي انتظارهم هُوَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ مُلْكُ إِسْرَائِيلَ، وَتَسْجِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالْبُخْلِ الَّذِي لَا يُؤَاتِي مَنْ يَرْجُونَ الْمُلْكَ. كَمَا قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ ... فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ" [3] .

ومن شدة حبهم للمال بحثوا عن كسبه بكل وسيلة مشروعة كانت أو غير مشروعة، وشهرة تعاملهم بالربا وأخذهم إياه قد طبقت الآفاق، حتى كان سببًا من أسباب تحريم الله الطيبات عليهم، فقال سبحانه: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)** [4]﴾ .

ونظرًا لتملك هذه النفسية المادية على اليهود فقد أباحت لهم كتبهم المقدسة- في نظرهم- الاستيلاء على أموال الآخرين، وتملكها والسيطرة عليها، خاصة إذا كان غير يهودي، فقد ورد في سفر التثنية: " لا تقرض أخاك بربا ربا قضية أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا، للأجنبي تقرض بربا"[5].

ومن أمثال العرب في حب اليهود للمال قول أبي حيان في رجل لطيف الحس: "هو أعشق للجمال، من اليهود للمال".

" وعشق بني إسرائيل للمال وجمعهم له وحرصهم عليه وبخلهم به طبع في أصل الخلقة نشأ في أغلب الظن من طول ما مدُّوا أعينهم إلى ذهب الفراعنة وهم في مصر، ولذلك لما خرجوا من مصر استولوا بالخديعة والحيلة على مقدار ضخم من حلي المصريين،

---

(١) النساء: ٥٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٣٣٦/٢).

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ (٨٨/٥)

(٤) النساء: ١٦٠ - ١٦١

(٥) سفر التثنية: الإصحاح: ٢٣.

حيث أخذ كل منهم ما أخذ من صديقه أو جاره على سبيل الاستعارة وهو يضمر الفرار به فلما دخلوا صحراء سينا وذهب موسى إلى ميقات ربه عمدوا إلى ما سرقوا من الحلي فأذابوه في النار وصاغوه عجلًا يعبدونه.

وظلت هذه الطبيعة المادية مسيطرة على الشخصية اليهودية جيلًا بعد جيل يورثها السابق للاحق، وأصبحت شعائرهم الصياغة والصرافة والسمسرة وأعمال البنوك، وقرابينهم أكل السحت وإشاعة الربا واستحلال المنكر وتخريب البيوت" [(١)].

وهذه الحجج التي تعلل بها القوم كانت نتيجة حتمية لانحراف العقيدة في نفوسهم، وقد ظهر هذا الانحراف في:

- إسقاط الطبيعة الإنسانية على الطبيعة الإلهية، فصوروا الإله الخالق بصفات وأوصاف الإنسان المخلوق، فوصفوا الله بالتعب والنصب، وقد رد الله تعالى عليهم قالتهم، فقال:﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨)** ﴾[(٢)]، واتهموا الله بالبخل، فقالوا يد الله مغلولة، ورد الله عليهم سفههم بقوله:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)** ﴾[(٣)].

كما زعموا اتخاذ الله أبناء ، وردَّ الله عليهم كذبهم بقوله:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)**﴾[(٤)] .

وفي هذا الجو من المجادلة الصاخبة تتبدى صفة من صفات بني إسرائيل التي وردت الإشارات إليها مرارًا في هذه السورة.. فقد كان مطلبهم أن يكون لهم مَلِكٌ يقاتلون تحت لوائه. ولقد قالوا: إنهم يريدون أن يقاتلوا " في سبيل الله" فهم أولاء ينغضون رؤوسهم، ويلوون أعناقهم، ويجادلون في اختيار الله لهم كما أخبرهم نبيهم، ويستنكرون أن يكون طالوت- الذي بعثه الله- ملكًا عليهم. لماذا؟ لأنهم أحق بالملك منه بالوراثة.

---

(١) انظر: وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م، (٣٣٢/٤)، بتصرف.

(٢) ق: ٣٨ .

(٣) المائدة: ٦٤

(٤) التوبة: ٣٠.

فلم يكن من نسل الملوك فيهم! ولأنه لم يؤت سعة من المال تبرر التغاضي عن أحقية الوراثة! .. وكل هذا غبش في التصور، كما أنه من سمات بني إسرائيل المعروفة.

هذا الغبش في التصور ، والذي يعني في أصله انحراف في العقيدة تتبدى آثاره أول ما تتبدى في انتقاله من دائرة الاعتقاد إلى أفق السلوك والعمل.

" للعقيدة المنحرفة أسباب نفسية وأخرى علمية تظهر في أقوال المرء وأفعاله، وتلحظ مما يصدر من أحكام على الأشخاص والأشياء، وتتفاوت هذه الأشياء قوة وضعفاً، وقلة وكثرة، ولكنها على كل حال ذات أثر عميق في تحديد المواقف والاتجاهات" [1] .

وهذا يعني أن هناك ارتباطا وثيق الصلة بين ما يعتقد المرء وما يترجمه من سلوك في حياته العملية، فالعقيدة المنحرفة تتحول في حياة صاحبها إلى سلوك معوج، والعقيدة الصحيحة تؤصل في حياة صاحبها السلوك المستقيم.

ولعل هذا هو السِّر في كون قضية التوحيد كانت القضية المركزية في دعوات الأنبياء جميعًا، فقال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)**﴾[2].

المبحث الثالث: مؤهلات تولي طالوت سُدَّة الملك.

بالرغم أن ما أثاروه من حجج يعترضون بها على تولي طالوت الملك، لاتقف على أرض صُلْبة، حيث إن تولية الملك ليست من خصائصهم ولا من وظائفهم، ومع ذلك فإن الله تعالى قد أولى ما اعترضوا به العناية القصوى، التي تبدت في إبداء أسباب اختيار الله تعالى لتولي طالوت سدة الملك، ولم يُسَفِّهْ الله تعالى آراءهم، ولم يتهمهم بالجهل وعدم العلم، وإنما قرع الحجة بالحجة، وقدَّم الدليل الذي به تدحض الشبهة.

وهكذا كان ديدن الأنبياء مع أقوامهم يقدمون لهم الحجة، ويعتمدون في دعوتهم إياهم على الدليل، قال تعالى في حق إبراهيم ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)**﴾[3].

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، كتاب الأمة، (١) ١٤٠٢هـ، ص١١٤.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) الأنعام: ٨٣.

ومن هنا لم يدع الله عز وجل شبهة أثارها أحد إلا ردَّ عليها [١].

ومن هذا المنطلق كشف الله تعالى -على لسان نبيهم- الأسباب الدافعة لاختيار طالوت للملك، وقد أجملت هذه الأسباب في سببين:

الأول: اصطفاء الله له.

الثاني: زيادة البسطة في العلم والجسم .

أما السبب الأول وهو اصطفاء الله طالوت للملك، فقد أعادته الآية الكريمة لثلاثة أسباب:

أولاً : هبة الله وإرادته:

يبدو أن بني إسرائيل لم يفهموا بشكل جيد معنى (اصطفاء الله) لطالوت عليهم، فأراد النبي أن يبيّن لهم حقيقة أمر غاب عن أذهانهم، وربّما ذهلوا عنه في مجادلتهم، فنبههم نبيّهم عليه السلام وكأنه يقول: (لا تستنكروا يا معشر الملأ من بني إسرائيل أن يبعث الله طالوت ملكاً عليكم، وإن لم يكن من أهل بيت المملكة، فإن الملك ليس بميراث عن الآباء والأسلاف، ولكنه بيد الله يعطيه من يشاء من خلقه، فلا تتخيّروا على الله)[٢].

فإذا كان الله هو (المالك) فله أن يمكن من شاء من التصرف في ملكه بإذنه[٣].

كما أن إضافة (مُلْك الدنيا) إلى الله تعالى هي في حقيقتها إضافة مملوك إلى ملك[٤].

وإن شأن بني إسرائيل لغريب في قولهم ادعاء الأحقية في الملك حتى كأن الملك هو في ملكهم، ولذلك أضاف الله (الملك) إليه، فالملك مآله إلى الله وليس لليهود حق فيه[٥]

"وتقريره أن الملك لله والعبيد لله فهو سبحانه يؤتي ملكه فلا اعتراض لأحد عليه في فعله، لأن المالك إذا تصرف في ملكه فلا اعتراض لأحد عليه في فعله"[٦]

(١) من الآيات الدالة على اتباع القرآن لمنهج الرد على الشبهات بتقديم الدليل على بطلانها:
١- الآيات (٢٥٨-٢٦٠) من سورة البقرة.
٢- الآية (٦١) من سورة آل عمران.
٣- الآية (١٨) من سورة المائدة.
٤- الآيات (٧٨- ٨٣) من سورة يس

(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٥/ ٣١٤ (بتصرف).

(٣) روح المعاني، الآلوسي، (١٦٧/٢) (بتصرف).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،(٢٤٧/٣) (بتصرف).

(٥) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٢٦٧/٢)، (بتصرف).

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٨٩/٦).

كما أنه لا يجوز الاستبعاد بعدما قضى الله ونبيه، فإنه تعالى أعلم بالمصالح منكم[١].

ثانياً: سعة فضل الله:

فـ(واسع) في حقيقتها بمعنى (موسِّع)، فهو يوسع على من يشاء من نعمه، وهو واسع الفضل والرزق والرحمة، وكأن الله يقول لبني إسرائيل: أنتم طعنتم في (طالوت) بكونه فقيراً، والله سبحانه هو الواسع، فإذا كان الملْك لا يتمشى إلا بالمال، فالله تعالى يفتح عليه باب الرزق والسعة في المال[٢].

فكيف نظن أن قضية (المال) تشكل عائقاً لانتخاب ملك يحكم بشرع الله، والله في لحظة من اللحظات "يوسّع على الفقير فيغنيه"[٣].

ثالثاً: علم الله بمن هو أهل لذلك:

وهذا من كمال علم الله الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، فهو سبحانه "عليم بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه، وفضله الذي يعطيه، فيعطيه ذلك لعلمه به، وبأنه لما أعطاه أهل: إما للإصلاح به، وإما لأن ينتفع هو به"[٤].

وهو سبحانه أيضاً "عالم بمقادير ما يحتاج إليه في تدبير الملك، وعالم بحال ذلك الملك في الحاضر والمستقبل، فيختار لعلمه بجميع العواقب ما هو مصلحته في قيامه بأمر الملك"[٥].

وبذلك تنقطع الأفهام السقيمة وتتذلّل لمن أحاط بكل شيء علماً، فما اختاره سبحانه فهو المختار، وليس لأحد معه خيرة، يفعل مالا تدركه العقول، ولا تحتمل وصفه الألباب والفهوم[٦].

وعلق أبو حيان الأندلسي على اعتراضهم وغياب عقولهم عن إدراك قضية الاصطفاء، بقوله: " لَمْ يَعْتَبِرُوا السَّبَبَ الْأَقْوَى، وَهُوَ: قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ: **﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**

(١) التفسير المظهري، محمد ثناء الله العثماني المظهري، تحقيق: غلام نبي تونسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤ م)، ص ٣٤٨ (بتصرف).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي،(١٨٩/٦)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشيحي الخازن تحقيق:محمد علي شاهين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه)، ١٨٠/١ (بتصرف).

(٣) روح المعاني، الآلوسي، ٢/ ١٦٧

(٤) الطبري، جامع البيان، الطبري،(٣١٥/٥).

(٥) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (١٨٩/٦).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٤١٩/٣ (بتصرف).

تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾[١]

وَاعْتَبَرُوا السَّبَبَ الْأَضْعَفَ، وَهُوَ: النَّسَبُ والغنى"[٢]

" قال لهم نبيهم مدلِّلاً على أحقية طالوت بالقيادة: إن الله - تعالى {اصطفاه عَلَيْكُمْ } أي اختاره وفضله عليكم واختياره يجب أن يقابل بالإذعان والتسليم ... فمالك الملك هو الذي اختاره فكيف تعترضون يا من تدَّعون أنكم تريدون القتال في سبيل الله؟...فلا يجوز لأحد أن يعترض على اختياره، (والله واسع) الفضل والعطاء (عليم) " [٣]

ومن السبب الثاني يمكن أن نستنبط المؤهلات الواجب توفرها في القائد الذي يُستَنْزلُ به النَّصْرُ، ويرتفع به شأنُ أمته.

وأول ما يسترعي الانتباه في الآية أن الله تعالى قدَّم البَسْطَةِ في العلم على البَسْطَةِ في الجسم " إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية بل يكاد لا يكون بينهما نسبة لا سيما ضخامة الجسم " [٤].

والبسطة التي حظي بها طالوت لم تكن مقتصرة على علم من العلوم، بل كان علما شاملًا؛ ويدل على ذلك إشارة القرآن إلى ذلك بلفظ البسطة مما يشعر بعدم الاختصاص بعلم واحد دون سائر العلوم، بل ينطبق ذلك على العلم الديني والعلم الدنيوي.

وقد جانب الصواب أبا حيان الأندلسي حينما قصر العلم الذي أوتيه طالوت على العلم الشرعي، حيث فسر البسطة في العلم بقوله: " قيل : في العلم بالحروب، والظاهر علم الديانات والشرائع..."[٥]

وهذا غير ظاهر في الآية، وما الحاجة إليه بالتحديد خصوصًا عند الحرب ومع وجود الشرع المتمثل بالنبي!

ولذلك كان تعريف الشيخ محمد أبو زهرة لبسطة العلم أجمع وأمنع، فقال- رحمه الله- :"والبسطة في العلم معناها: الاتساع في الأفق والتجارب، وقوة العقل والتدبير والإحكام

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) تفسير البحر المحيط، (٥٧٤/٢).

(٣) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار النهضة : الفجالة- القاهرة، ، (١/ ٤٥٤).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تحقيق: فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٨م، (٢٤٠/٢).

(٥) تفسير البحر المحيط، (٥٧٥/٢).

في التفكير ؛ فالبسطة معناها الاتساع ، وإذا أضيفت إلى العلم فمعناها : الاتساع والإحاطة بكل ما يوجه العقل إلى التفكير المستقيم مع سلامة العقل نفسه"[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما:" كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل" [٢].

ومن هنا فقد اشتُرِطَ العلم بشقيه (الديني والدنيوي) فيمن يتولى أمور الملك، قال ابن خلدون: " والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" [٣]

ومما شرطه الإمام الماوردي لتولي الإمامة: " العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح" [٤].

ويقول الإمام الطرطوشي: "اعلم –أرشدك الله- أن أكثر الناس حاجة إلى العلم والتفقه أكثرهم عيالاً وأتباعاً وخدماً وأصحاباً، والخلق مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السَّنِيَّة، والطرائق العَلِيَّة، مفتقرون إليه في الأحكام، وقطع التشاجر، وفصل الخصام، فهو أحوج خلق الله إلى معرفة العلوم، وجمع الحكم. وشخص بلا علم كبلد بلا أهل، وكشجر بلا نبات.

وأفضل ما في السلطان خصوصاً، وفي الناس عموماً، محبّة العلم والتحلّي به، والشوق إلى استماعه والتعظيم لحملته، فإن ذلك للعالم العلوي، وهو من أوكد ما يتحبّب به إلى الرعية، وإذا كان الملك خالياً من العلوم ركب هواه، وأضرّ برعيته"[٥] .

وهكذا نجد أن العلم أساس من أسس الملك والحكم الرشيد بدونه يسقط الملك ويزول الحكم بعد أن تسري في أوصال من يتولى أمره ظلماتُ الجهل.

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (٢/ ٨٩٢)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، (٢٤٦/٣)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، السعودية: دار طيبة، (٢٩٨/١).

(٣) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، بيروت- لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١ه- ٢٠٠١م، (٢٣٨/١).

(٤) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص ١٩-٢٠.

(٥) سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤ه-١٩٩٤م)، ص ٢٦٣.

وأما الخصيصة الثانية بعد العلم فهي البسطة في الجسم، ومن بديع النظم القرآني أن يعبر بلفظة الجسم معرضًا عن التعبير بلفظة الجسد، وللوقوف على سر هذا التعبير لابد من بيان الفرق بين اللفظتين.

الجسم: جَسُمَ الشيءُ أي عَظُمَ، فهو جَسِيمٌ وجُسام، وجسمان الرجل وجثمانه واحد[١]

والجسم في التعبير القرآني هو الجسد الذي دبت فيه الحياة وورد في القرآن مرتين بهذا المعنى، قال تعالى عن طالوت مبيناً مؤهلاته ليكون ملكًا على بني إسرائيل: **﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾** [٢]،

وورد في الحديث عن المنافقين قوله تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾**[٣].

وأما معنى الجسد:

قال الراغب في المفردات: " الجسد كالجسم لكنه أخصُّ" [٤]

وقال الطاهر بن عاشور: " والجسد الجسم الذي لا روح فيه، فهو خاص بجسم الحيوان إذا كان بلا روح"[٥]

ودلَّ ورود التعبير بالجسد في القرآن الكريم على هذا المعنى عبر أربعة مواضع، منها موضعان في وصف العجل الذي اتخذه بنو إسرائيل ، فقال تعالى: **﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)﴾**[٦]

وقال تعالى:**﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨)﴾**[٧]

---

(١) لسان العرب، مادة (جسم)، مج٢(١٤٧/٣).

(٢) البقرة: ٢٤٧.

(٣) المنافقون: ٤.

(٤) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (١٩٦/١).

(٥) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، (١١٠/٩).

(٦) الأعراف: ١٤٨.

(٧) طه: ٨٨.

ووصَف الأنبياءَ الكرام بكونهم ليسوا أجسادًا هامدة لا روح فيها، فقال:﴿ **وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)** ﴾[١]

وقال في وصف الجسد الذي فتن به نبيه سليمان عليه السلام: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)**﴾[٢]

ومن خلال ما تقدم يتبين أن الجسم يُطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة، وأما الجسد يطلق على التمثال الجامد أو بدن الإنسان بعد وفاته وخروجِ روحه.

ومن هذا المنطلق فقد جاء التعبير القرآني بالبسط في الجسم الذي يعني أن يكون سليم الجسم، صحيح البدن، وهو ما عبر عنه علماء السياسة الشرعية بـ (سلامة الأعضاء) و (سلامة الحواس)، وهو الأمر الذي اتفق عليه الفقهاء باعتبارهم سلامة التركيب البدني من الشروط الأساسية للقائد الحاكم، وللولاية الكبرى والإمامة العظمى.

ومما نقل عنه ذلك إمام الحرمين الجويني، حيث تناول قضية سلامة أعضاء من يتولى سدة الحكم ، فقال: "البصر فلا خلاف في اشتراطه؛ لأن فقده يمانع الانتهاض في الملمات والحقوق، ويجر ذلك إلى المعضلات عند مسيس الحاجات، والأعمى ليس له استقلال بما يخصه من الأشغال، فكيف يتأتى منه تطوق عظائم الأعمال، ولا يميز بين الأشخاص في مقام التخاطب، وانعقاد الإجماع يغني عن الإطناب" [٣]

وكما اشترط سلامة البصر اشترط أيضًا سلامة السمع وسلامة اللسان، فقال: " ومما يشترط من الحواس: السمع، فالأصم الأصلح الذي يعسر جدًا إسماعه لا يصلح لهذا المنصب العظيم لما سبق تقريره في البصر.. وما يلتحق بما ذكرناه نطق اللسان فالأخرس لا يصلح لهذا الشأن" [٤].

ولما كانت المهمة الأولى التي ستسند إلى طالوت للقيام بها والتمكن من أدائها هي مهمة الجهاد في سبيل الله تعالى، والتي تستلزم قوة بدن، والتي لا تتحقق إلا بسلامة الأعضاء وكمال الحواس، لما كان الأمر كذلك ناسب أن يؤتيه الله بسطة في الجسم.

---

(١) الأنبياء: ٨.

(٢) ص: ٣٤.

(٣) غياث الأمم في التياث الظلم، أبو المعالي الجويني، تحقيق: مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٠هـ، ص ٦١.

(٤) غياث الأمم، ص ٦٢.

كما أن هناك صلة وثيقة بين سلامة الجسم وسلامة النفس؛ " فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع، والسفينة للربان، اللتين بهما صار صانعًا وربانًا" [١].

وقد تعرض السادة المفسرون لعلة بسط الله في جسم طالوت، ومما ذكروه:

١- للدلالة على القوة، " إذ العادة أن من كان أعظم جسمًا كان أكثر قوة" [٢].

٢- " جسامة البدن ليكون أعظم خطرًا في القلب، وأقوى على كفاح الأعداء، ومكابدة الحروب" [٣].

٣- إلقاء الهيبة في نفوس الأعداء، لأن ذلك " يملأ العين جهارة، لأنه أعظم في النفوس، وأهيب في القلوب"[٤].

كما أن بعض المفسرين أشار إلى أن من معاني البسط في جسم طالوت (الطول)؛ وأن اشتقاق اسمه (طالوت) كان بسبب طوله، وأنه كان يفوق النَّاس برأسه ومنكبه[٥]

وقد ذكر الفيروز آبادي أن معنى طالوت في اللغة العبرية: طويل[٦].

ومما يضاف إلى معاني البسط في الجسم (الحسن والجمال) ومما يؤكد هذا أن بني إسرائيل -ولا زالوا- يولون الجمال الخَلْقي عناية فائقة، وهو أمر مرتكز في ثقافتهم وتاريخهم، وورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما- قوله: " كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه" [٧]

ونفهم من عبارة ابن عباس أنه لم يكن جميلًا فقط وإنما كان أجملهم، قال ابن كثير -رحمه الله-: " والظاهر من السياق أنه كان أجملهم"[٨]

وورد في العهد القديم في وصف طالوت "كان من أكثر شبان بني إسرائيل وسامة" [٩]

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام - القاهرة عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ١١٣.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، (٢٥١/١).

(٣) روح المعاني، الآلوسي ، (٢/ ٢٤٠).

(٤) الكشاف ، الزمخشري ، (٢٨٨/١).

(٥) مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي، (١٨٩/٦).

(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (٨٢/٦).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٤٦/٣).

(٨) البداية والنهاية، ابن كثير، (٨/٢-٩).

(٩) سفر صموئيل الأول: الإصحاح ٩، الآية ٢.

والجمال: نوعان:

أحدهما: امتداد القامة الذي يكون عن اعتدال الحرارة الغريزية، بأن الحرارة إذا حصلت دفعت أجزاء الجسم إلى العلو، كالنبات إذا نجم، كلما كان أطلب للعلو في منبته كان أشرف في جنسه.

الثاني من الجمال: أن يكون مقدودًا قوي العصب، طويل الأطراف، ممتدها، رحب الذراع، غير مثقل باللحم والشحم.

ولا نعني بالجمال هاهنا ما يتعلق به شهوات الرجال والنساء، فذلك أنوثية، وإنما يعني به الهيئة التي لا تنبو الطباع عن النظر إليها، وهو أدل شيء على فضيلة النفس، لأن نورها إذا أشرق تأدى إلى البدن إشراقها[١].

المبحث الرابع: آية ملك طالوت ودلالاتها.

بعد أن اعترض بنو إسرائيل على تولي طالوت سدة الملك واختيار الله له دونهم، وتفنيد الله تعالى شبهتهم بإعطائه بسطة في العلم والجسم، زادهم نبيهم في البيان وأعطاهم آية على صدق ما قال، قال تعالى:﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)** [٢]﴾.

والتابوت: هو الصندوق الذي وضعت فيه التوراة، كان العمالقة قد أخذوه ثم رد إلى بني إسرائيل، وجاء في سفر التثنية: " فعندما كَمَّلَ مُوسَى كِتَابَةَ كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا وَضَعُوهُ بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهدًا عليكم" [٣].

ثم وقعت حرب بين الفلسطينيين وبنى إسرائيل على عهد عالي الكاهن انتصر فيها الفلسطينيون، وأخذوا التابوت من بنى إسرائيل ونكلّوا بهم تنكيلا، فما تعالي كمدا، وكان صموئيل أو شمويل قاضيا لبنى إسرائيل من بعده وهو نبيهم الذي طلبوا منه أن يبعث لهم ملكا ففعل، وجعل رجوع التابوت إليهم آية لملك طالوت الذي أقامه لهم[٤] .

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص١١٤.

(٢) البقرة: ٢٤٨.

(٣) سفر التثنية: الإصحاح: ٣١/ ٢٤- ٢٦.

(٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م، (٢٢٠/٢).

والسكينة: ما تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب، قال ابن عطية: "والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى" [١].

والآية في مجملها تدل على أن بني إسرائيل لما لم يرضخوا لاختيار الله تعالى لطالوت، قال لهم نبيهم: إن من علامة عناية الله بطالوت عود التابوت إليكم، وفيه ما تطمئن به قلوبكم (وقد كان له عندهم شأن ديني خاص) وفيه بقية من رضاضة الألواح (فتاتها) وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وأشياء توارثها العلماء من أتباع موسى وهارون، وقد أضيف إلى آل موسى وآل هارون، لأنه قد تناولته القرون بعدهما إلى وقت طالوت" [٢].

وكان ذلك من أكبر المحفزات لهم على المسارعة في الجهاد، [٣]

قال عكرمة: (لما رأى بنو إسرائيل التابوت سارعوا إلى طاعته، والخروج معه)[٤].

كما أن إتيان التابوت على يد الملائكة رفع من معنوياتهم حيث أشعرهم بأن الملائكة سيشاركونهم في قتال عدوهم، وأن الله معينهم ومثبتهم، وكان بنو إسرائيل بحاجة كبيرة إلى هذه الدفعة المعنوية خاصة وأن عددًا منهم قد أصيب بداء الخوف والهلع المتأصل في الطبيعة اليهودية.

وفي الوقت الذي ارتفعت فيه الروح المعنوية[٥] لبني إسرائيل بمجيء التابوت انهارت قوى عدوهم المعنوية، ففي الغالب الأعم قد حملت الطلائع الاستخباراتية لجيش العدو أمر التابوت وأنه أصبح في حوزة طالوت وجنوده، وقد كانت هذه صورة من صور الحرب النفسية التي ما فتئت الجيوش -قديمًا وحديثًا- تعتمد عليها في هزيمة أعدائها.

يقول ديغول: "لكي تنتصر دولة في الحرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها في ميدان القتال، وتظل الحرب النفسية تساند هذه القوات حتى تنتهي مهماتها" [٦].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣٣٣/١).

(٢) تفسير المراغي، (٢٢٠/٢).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (٢١٥/٢).

(٤) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٥٨٥/٢).

(٥) الروح المعنوية: هي حالة نفسية، واستعداد وجداني، ودرجة من الثبات والاتزان مصحوب بشعور انفعالي يسود الفرد أو الجماعة للقيام بمهمة أو مهمات يعجز عنها الآخرون. انظر: الروح المعنوية للمقاتل العراقي، كامل علوان أحمد، كلية الأمن القومي، بغداد، ص ٨١.

(٦) الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي، حسين حسن عدّاي، دار النوادر، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م. ص ٨.

المبحث الخامس:اختبار الله تعالى لرعية طالوت بالنهر ودلالاته.

بعد أن أعطى النبي قومه آية على صحة ما أوحي إليه من اختيار الله طالوت، والتي تمثلت في التابوت الذي يحمل بين جنباته بقية آثار من آل موسى وآل هارون، انتقل السياق القرآني لمرحلة أخرى من مراحل القصة تمثلت في إعداد طالوت للجيش الذي سيدخل به المعركة مع أعدائه، وكانت أول خطوة من خطوات الإعداد أن يختبر جنوده في قضية السمع والطاعة لأنها المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه القائد في التعامل مع جنوده.

وقد جاء هذا الاختبار متجسدًا في الابتلاء بنهر منعهم طالوت من الشرب منه باستثناء غرفة واحدة، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)** ﴾[1] .

وإزاء هذه الآية وقع خلاف بين السادة المفسرين هل كان أمر الابتلاء بالنهر وحيًا من الله تعالى لطالوت، أم أنه كان اجتهادًا منه وفق خبرته ومعرفته بتضاريس المنطقة الجغرافية، وعند التحقيق يتضح أن خلاف المفسرين يعود لأمرين:

الأول: اختلافهم في القائل: (إن الله مبتليكم بنهر): هل هو طالوت؟ أم هو نبيهم؟

وقد ذكر الإمام الرازي القولين ورجح الأول: فقال:" اختلفوا في أن هذا القائل من كان: فقال الأكثرون: إنه هو طالوت وهذا هو الأظهر لأن قوله لا بد وأن يكون مسنداً إلى مذكور سابق، والمذكور السابق هو طالوت.

والقول الثاني: أن قائل هذا القول هو النبي المذكور في أول الآية، والتقدير: فلما فصل طالوت بالجنود قال لهم نبيهم : {إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ} "[2]

الثاني: من قالوا إنه من قول طالوت، اختلفوا في كونه استمدادا من الوحي النازل على النبي آنذاك، أم أنه وحي مباشر من الله تعالى إلى طالوت على حسب قول من قال أنه أوتي النبوة إلى جانب الملك، أم كان اجتهاد منه مع إلهام من الله تعالى؟

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٥٢/٦).

وقد ذكر الإمام الرازي الاحتمالين الأوَّلَيْن دون ترجيح، فقال: " ثم على هذا يحتمل أن يكون القول من طالوت لكنه تحمله من نبي الوقت ، وعلى هذا التقدير لا يلزم أن يكون طالوت نبياً ويحتمل أن يكون من قِبَلِ نفسه فلا بد من وحي أتاه عن ربه ، وذلك يقتضي أنه مع المُلْكِ كان نبيًا" (١).

وكذلك كان الأمر عند أبي حيان، حيث قال: " وظاهر قول طالوت : (ان الله...) يوحي إمالة على قول من قال : إنه نبي ، أو يوحي إلى نبيهم وإخبار النبي طالوت بذلك" (٢).

أما ابن عاشور فقد ذكر أن إسناد طالوت - في قوله- أن الابتلاء إنما هو من عند الله تعالى، إنما يرجع في احتمال أنه اجتهاد من عند نفسه، وأن ذلك بمثابة كونه من عند الله تعالى؛ إذ طاعته - وهو المصطفى المبعوث بالملك من عند الله تعالى –من طاعة الله تعالى؛ فمن هنا أسند أمر الابتلاء إلى الله تعالى :" وإنما أخبر طالوت عن الله تعالى بأنه مبتليهم، مع أنه لم يكن نبيئاً، يوحى إليه : إما استناداً لإخبار تلقاه من صمويل ، وإما لأنه اجتهد أن يختبرهم بالشرب من النهر لمصلحة رآها في ذلك، فأخبر عن اجتهاده ، إذ هو حكم الله في شرعهم فأسنده إلى الله، وهذا من معنى قول علماء أصول الفقه إن المجتهد يصح له أن يقول فيما ظهر له باجتهاده إنه دين الله أو لأنه في شرعهم أن الله أوجب على الجيش طاعة أميرهم فيما يأمرهم به، وطاعة الملك فيما يراه من مصالحهم، وكان طالوت قد رأى أن يختبر طاعتهم ومقدار صبرهم بهذه البلوى فجعل البلوى من الله؛ إذ قد أمرهم بطاعته بها "(٣).

وأرى أن الرأي الراجح في هذه المسألة هو أن أمر الابتلاء بالنهر وحي من الله تعالى، حيث جاء اللفظ صريحًا (إنَّ الله مبتليكم) سواء أكان هذا الوحي وحيًا مباشرًا أم كان بإلهام من الله مثل ما حدث مع أم موسى عليها وعليه السلام.

وقد سمّاه طالوت (ابتلاء) لتقريب المعنى لعقولهم، وحتى يعطوا الاختبار مزيداً من الاهتمام(٤).

وذكر الشيخ أبو زهرة تفسيرين لمعنى الابتلاء في الآية:

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٥٢/٦).

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٢٧٣/٢).

(٣) التحرير والتنوير، (٤٨٦/٢).

(٤) التحرير والتنوير ، (٤٩٦/٢) (بتصرّف).

الأول: ابتلاء لمعرفة مقدار طاعة جنده، لأنهم بايعوه وما أرادوا، وقبلوا ملكه وما كادوا يفعلون، فأراد قبل أن يخوض غمار الحرب أن يعرف من أذعن ورضي فيقاتل به؛ لأنه يكون كنفسه، ومن كان في قلبه ذرة من التمرد أو عدم الإذعان القلبي، فإنه ليس له به حاجة.

والنصرة في الجيش باتحاد القلوب والقوة المعنوية، وحسن الطاعة للقيادة، فجند قليل متحدة أهواؤهم ينتصرون بعون الله. على ذلك جمهور المفسرين.

الثاني: أنهم يفصل بينهم وبين أعدائهم نهر، وقد وصلوا إليه مجهدين من العطش والتعب، فخشي أنهم إن مكثوا حوله، وملئوا مزاداتهم وبطونهم واستراحوا واستجموا، أحس بهم أعداؤهم، فاجتازوا النهر إليهم، وأبعدوهم عنه، فأراد طالوت أن يأخذ عدوه بالجولة الأولى المفاجئة، فيجتاز النهر قبل أن يحسوا به، وإن اجتازوه صار النهر في قبضتهم يشربون منه ما شاءوا من غير حاجة إلى التزود، وكانوا هم على الماء، وعدوهم أسفل منه[1].

ولم يستبعد -رحمه الله- الاحتمال الثاني، فقال: " هذا احتمال قريب لَا ينافيه نسق القرآن الكريم، ويتحقق فيه مَعنى الابتلاء الشديد؛ لأن كونهم بجوار الماء بعد جهد وعطش، ولا يأخذون منه إلا غرفات تذهب بالعطش من غير شبع وتزود منه، هذا بلا شك ابتلاء من الله، ويتحقق فيه أيضًا معنى الاختبار للطاعة، وهو يتفق مع الخطط الحربية؛ لأن الفجاءة في الحروب سلاح يقتل ويفرق الجمع، ثم فيه اختبار لعزائمهم وقوة إرادتهم فوق اختبار طاعتهم" [2].

وما ذكره الشيخ أبو زهرة يعني أن طالوت أخبرهم بأنهم مقدمون على ابتلاء هو بمثابة اختبار وامتحان لقدراتهم العقدية والنفسية والبدنية، ومدى تحملهم لما يلقى عليهم من أوامر من قِبَلِ قائدهم، وحتى لا يزول غموض كنه الابتلاء أعلمهم بأنه (نهر) ووضع لهم التعليمات الصارمة التي يجب أن يتبعوها حيال هذا الابتلاء، والتي بدت واضحة في قوله: (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)، فلما وصلوا إلى ساحة المعركة فصل النهر بينهم وبين عدوهم، وهم عطاش

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨٩٩/٢).
(٢) زهرة التفاسير، (٩٠٠/٢).

مُجْهَدُون، فخشي طالوت إن هم شربوا منه وملأوا بطونهم أن يخلدوا إلى الراحة فينتهز عدوهم الفرصة ويعبر النهر فيعمل فيهم آلة القتل بعد استيلائه على النهر.

ولم يُقْدِمْ طالوت على وضع جيشه تحت طائلة هذا الاختبار من باب التسلط عليهم أو الرغبة في تعذيبهم، وإنما كان ذلك لأسباب لعل من أهمها:

١- ضرورة اختبار القائد لجنوده مع الارتقاء من الأدنى للأعلى، فإذا لم يكن جيش طالوت على استعداد للامتناع عن شرب حفنة ماء فهو نحو غيره من ألوان الامتحانات أضعف كالابتلاء بالمواجهة الحقيقية مع العدو، " وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول وقته، وتحصل به مشقة أشد وأكبر" [١].

٢- دلت الآيات على اعتراض الملأ من بني إسرائيل على ملك طالوت في بدء الأمر ثم أذعنوا له بعد ظهور آية التابوت، فكان من المناسب وضعهم تحت نوع من الاختبار يقاس به مدى ثقتهم بقائدهم، واستجابتهم له.

٣- يقول أردان دوبيك[٢] : " إن القتال هو الهدف النهائي للجيوش، والإنسان هو الأداة الأولى للقتال، فلا يمكن أن يكون هناك شيء منظم بصورة عاقلة في جيش من الجيوش... دون معرفة دقيقة بهذه الأداة الأولى:معرفة الرجل، وبوضعه المعنوي في هذه اللحظة من القتال"[٣]

٤- في الاختبار جانب صحي لم تظهر حكمته إلا بعد تقدم البحوث الطبية حديثًا، فالإنسان إذا عطش ينبغي له أن لا يشرب من الماء بكثرة في مرة واحدة، فإن ذلك قد يؤدي إلى دخول الهواء إلى المعدة ثم الأمعاء وانتفاخ الطن[٤]، "فأراد إبقاء نشاطهم: لأن المحارب إذا شرب ماء كثيرا بعد التعب، انحلت عراه ومال إلى الراحة، وأثقله الماء"[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ص١٠٨ (بتصرف).س

(٢) أردان دوبيك: كاتب عسكري، ومنظر استراتيجي فرنسي، (١٨٣١- ١٨٧٠م).

(٣) الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي، حسين حسن عدّاي، دار النوادر، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م. ص٧-٨.

(٤) العلاج بالماء قديمًا وحديثًا، ماهر حسن محمود، دار الندى، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٥٥.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤٩٦/٢).

٤- في الابتلاء فرصة سانحة لترويض النفوس على كبح جماح الشهوات الإنسانية، والتدرب على الانضباط، وقد كان الابتلاء هو السبب الرئيس في تنمية طالوت لقوة الإرادة واليقين في نصرة الدين، ومخاطرة أفراد جيشه بأنفسهم، وقدرتهم على هزيمة الانكسار النفسي الذي سيطر على قلوبهم.

٥- قد تقتضي ظروف الحرب وقوع بعض الظروف القاهرة كنفاد الزاد، وانتهاء الماء، فإذا لم يكن الجندي مستعدًا لمثل هذه الظروف الطارئة فحتمًا ولابد سيستسلم لأعدائه، بعد أن تخور قواه، " فالجيوش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق" [١] .

٦- كان في ذلك رفع لمعنويات من أطاعوه ونجحوا في الامتحان، ومن المعلوم أن النجاح في الامتحان له مردود نفسي على الفرد، خصوصاً في وقت الأزمات.فهؤلاء الثابتون الذين لم يزيدوا على غرفة قويت قلوبهم،وصحّ إيمانهم، وبارك الله فيما اغترفوه حتى كفتهم، وأما الذين خالفوا وشربوا فقد انهارت معنوياتهم،وجبنوا عن لقاء العدو، ولم يشهدوا النصر[٢].

المبحث السادس: أسباب انتصار الفئة المؤمنة رغم قلة عددها.

بعد أن ابتلى الله تعالى الجيش المصاحب لطالوت بالنهر، وأمر طالوت لجنوده بالامتناع عن الشرب منه إلا بمقدار غرفة يروي بها الجندي منهم ظمأه، لم يوفق العدد الأكبر في اجتياز هذا الامتحان، وشربوا حتى امتلأت بطونهم ونكصوا على أعقابهم، وصبرت فئة قليلة منهم ملتزمين بأمر طالوت لهم، لكنه بالرغم من ذلك انقسمت هذه الفئة القليلة إلى فريقين بعد رؤيتهم لجالوت وجيشه العرمرم، فالفريق الأول قال: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، ونكص على عقبه، وأما الفريق الآخر فكان فريقًا صابرًا محتسبًا متسمًا بالعقيدة السليمة، وقوة الاستمساك بحبل الله، وحسن اللجوء إلى الله، كما تميَّز بالروح المعنوية العالية والقوة النفسية الفائقة، وكل هذه الأسباب مكنته من النصر من أوسع أبوابه.

وقد صوَّر الله تعالى هذا المشهد في قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ**

(١) الإعداد المعنوي والمادي للمعركة في ضوء القرآن والسنة، فيصل بن جعفر بن عبد الله بالي، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ص ٩١.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، (٣٦٠/١) بتصرف.

غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) ﴾[١].

والآيات تحمل في طياتها آليات التمكين في الأرض والتي خبرتها الفئة القليلة المؤمنة مع طالوت، ومن أهم هذه الآليات:

١- الصبر: الصبر في اللغة: الحبس، ويقال: صبره أي حبسه، ومنه قوله تعالى: **﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾**[٢]. أي احبس نفسك معهم.

والصبر نقيض الجزع، والجزع: الحزن، فالصبر: حبس النفس عن الجزع، ويقال: صبر فلان عند المصيبة، إذا حبس نفسه عن الجزع والتسخط ولسانه عن الشكوى، وجوارحه عن التشويش[٣].

وإذا كان المسلم مطالبا بالصبر في أموره الحياتية العادية فهو في الجهاد وعند ملاقاة الأعداء أوجب وآكد، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالصبر والمصابرة في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٢٠٠)﴾**[٤].

وقال سبحانه:**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)﴾**[٥]

وجعل الصبر من صفات عباده الأبرار، فقال:**﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾**[٦].

---

(١) البقرة: ٢٤٩ – ٢٥٠.

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) الصحاح، الجوهري، (٧٠٦/٢)، مختار الصحاح، الرازي، (ص٣٥٥).

(٤) آل عمران: ٢٠٠.

(٥) البقرة: ١٥٣

(٦) البقرة: ١٧٧.

وجعله المحك الذي به يتم تمحيص الصف المسلم، فقال سبحانه:﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)**﴾[١] .

والجندي المسلم مأمور بالصبر بدرجة تزيد صبره في أموره العادية، وموقف الجهاد يستدعي ذلك؛ ولذلك كان المناسب في غزوة بدر أن يأمر الله المجاهدين في غزوة بدر بالطاعة والوحدة والصبر في قوله تعالى:﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)**﴾[٢] .

ومهما كانت قوة الصبر التي يتحلى بها المرء، فسيأتي عليه وقت تخور فيه قوته، وتضعف عزيمته إذا كان لأغراض عاجلة؛ لأنه يستمد قوته ويتغذى من الجذور الفكرية للشرك والعبودية المادية، أما الصبر الذي يستجلب قوته من جذور التوحيد والذي لا يبتغى من ورائه إلا وجه الله تعالى فهو كنز مكنوز لا تصل إليه يد السارق، وجيش عرمرم من الثبات والبسالة لا يقدر أن يقف في وجهه سائر الشدائد والأهوال الممكنة في هذه الدنيا.

٢- **استبعاد المرجفين والمخذلين :** كما استبعد طالوت الفئة التي لم تصبر عن الشرب من النهر، استبعد أيضًا الفئة التي خارت قواها، وضعف موقفها أمام رؤيتهم لجيش جالوت، وهذه قضية في منتهى الضرورة بالنسبة للجماعة المؤمنة التي تبغي النصر على أعدائها، ويجب أن تكون واضحة في عين القائد اللبيب.

فهذه الطائفة من الجند لا يزيدون الجيش إلا وهنًا وضعفًا، في الوقت الذي يكون الجنود فيه في أمس الحاجة إلى من يقوي عزائمهم، ويشد من أزرهم، والقائد البصير هو الذي يوازن بين الضرر الناجم عن وجود أشخاص مثلهم في الجيش، وبين المصلحة المترتبة على بقائهم فيه، وبناء على ذلك يتخذ قراره بتسريحهم من هذا الجيش أو الاحتفاظ بهم فيه؛ كل ذلك يبنى على المصلحة الراجحة[٣]

٣- الثقة في نصر الله للفئة المؤمنة:

تلمح الآيات إلى أن الفئة القليلة الصابرة مع طالوت كانت على دراية بوقائع التاريخ، وأحداث الأمم السابقة، وقولهم: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) يؤكد ذلك، ويدلل على أنهم خبروا أكثر من واقعة تشهد بذلك، حتى أصبح الأمر وكأنه قاعدة يقاس

(١) محمد: ٣١.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، بيروت، دار البيارق، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، (١١١٠/٢) بتصرف يسير.

عليها، أن تكون الفئة المؤمنة قليلة لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار، ولكنها تكون الغالبة لأنها تتصل بمصدر القوي؛ ولأنها تمثل القوة الغالبة . قوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده

وهذا هو عين ما حدث للصحابة الكرام في غزوة بدر لما وثقوا في وعد الله لهم بنصرهم على عدوهم، وثبتوا على ما اعتقدوا جاءهم الأمر بتخفيف الأمر، فقال تعالى:﴿ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)** ﴾[1].

(١) الأنفال: ٦٦.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمامه ومعالجة موضوعه، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات، ، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولًا: النتائج:

١- التسليم والخضوع لأوامر الله تعالى معلم من معالم الشخصية المؤمنة.

٢- غاية الجهاد في الإسلام مرهونة بكونها في سبيل الله تعالى، وينضوي تحت هذه الغاية حماية الأوطان، والأعراض، والأنفس.

٣- القائد المحنك هو الحريص على اختبار جنوده خاصة فيما يتعلق بالسمع والطاعة؛ لتمحيص الصف، وتقوية الروح المعنوية، والقوة النفسية .

٤- الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، والثقة في وعد الله بنصر عباده المؤمنين سبب كبير من أسباب النصر على الأعداء.

التوصيات:

بعد الوصول إلى نهاية البحث يوصي الباحث بعدة أمور:

١- ضرورة الإقبال على القصص القرآني تدبرًا وفهمًا، وتأملًا ووعيًا؛ لنقله من حيز التدبر النظري، والفهم العقلي إلى حيز الواقع العملي، والإفادة منه في مناحي الحياة المختلفة.

٢- تدريس قصة طالوت في مقررات الكليات والأكاديميات العسكرية، ومعاهد إعداد القادة، واتخاذ طالوت أنموذجًا للقائد العسكري الذي يحتذى به.

٣- أن يخضع اختيار القيادات -بمختلف مجالاتها- وفق ضوابط دقيقة وقواعد ومواصفات حددها الإسلام إدراكًا لأهمية القيادات وأثرها في جميع المستويات.

٤- لابد من تعبئة الجيوش المسلمة باتباع أحدث وأنجح أساليب التنظيم التي توصل إليها خبراء التنظيم والعسكرية أخذا بأسباب التطور في مواجهة الأعداء.

٥- ضرورة الاعتماد في مواجهة العدو على الحرب النفسية قبل الحرب المادية، فتدمير نفسية جنود العدو هو البوابة الكبرى لتوهين قوتهم، وفت عضدهم.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦م.

٢- الإعداد المعنوي والمادي للمعركة في ضوء القرآن والسنة، فيصل بن جعفر بن عبد الله بالي، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣- الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٠٢.

٤- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة الإيمان، المنصورة، د. ط، د. ت.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين، تحقيق : محمد علي النجار - عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، بيروت- لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١ه- ٢٠٠١م.

٧- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٩- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

١١- التفسير المظهري، محمد ثناء الله العثماني المظهري، تحقيق: غلام نبي تونسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٥هـ.

١٢- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار النهضة : الفجالة- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م).
١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.
١٥- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ –٢٠٠٦م.
١٦- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، بيروت، دار البيارق، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
١٧- الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي، حسين حسن عدَّاي، دار النوادر، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
١٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، د. ط، د. ت.
١٩- الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام - القاهرة عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تحقيق: فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٨م.
٢١- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣،
٢٢- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١م.
٢٣- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤ه-١٩٩٤م)
٢٤- العلاج بالماء قديمًا وحديثًا، ماهر حسن محمود، دار الندى، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
٢٥- غياث الأمم في التياث الظلم، أبو المعالي الجويني، تحقيق: مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٠هـ

٢٦- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٢٧- الكشاف ، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
٢٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشيحي الخازن تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه).
٣٠- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠١٤م.
٣١- مجلة وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.
٣٢- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٣٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.
٣٥- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٣٦- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، كتاب الأمة، عدد (١)، ١٤٠٢هـ.
٣٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، السعودية: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٣٨- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٣٩- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٤٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٤١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٤٢- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، ط١، القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٩م.